

تفسير ابن كثير

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ،
حدثنا عبد الرحمن بن شيبه ، سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم
يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر ، قالت ، وأنا أسرح شعري ، فلففت شعري ،
ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي ، فجعلت سمعي عند الجريد ، فإذا هو يقول عند
المنبر : " يا أيها الناس ، إن الله يقول : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
" إلى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير ، من حديث عبد الواحد بن زياد ، به
مثل طريق أخرى عنها : قال النسائي أيضا : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا سويد ، أخبرنا

عبد الله بن شريك ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن ، والنساء لا يذكرن ؟ فأُنزل الله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقد رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة : أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، حدثه عن أم سلمة ، رضي الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله ، أذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأُنزل الله : (إن المسلمين والمسلمات) الآية طريق أخرى : قال سفيان الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، يذكر الرجال ولا نذكر ؟ فأُنزل الله : (إن المسلمين والمسلمات) الآية حديث آخر : قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا سيار بن مظاهر العنزي حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات ؟ فأُنزل الله : (إن المسلمين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ; عن قتادة قال : دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلن : قد

ذكر كن الله في القرآن ، ولم نذكر بشيء ، أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله عز وجل : (إن

المسلمين والمسلمات) الآية فقوله : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)

دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) [الحجرات : 14]

وفي الصحيحين : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " فيسلبه الإيمان ، ولا يلزم من

ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح

البخاري [وقوله] : (والقانتين والقانتات) القنوت : هو الطاعة في سكون ، (أم من هو

قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) [الزمر : 9] ، وقال تعالى

: (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) [الروم : 26] ، (يا مريم اقنتي

لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) [آل عمران : 43] ، (وقوموا لله قانتين) [

البقرة : 238] فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها ، ثم القنوت ناشئ عنهما (والصادقين

والصادقات) : هذا في الأقوال ، فإن الصدق خصلة محمودة؛ ولهذا كان بعض

الصحابة لم تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وهو علامة على الإيمان ،

كما أن الكذب أمانة على النفاق ، ومن صدق نجا ، " عليكم بالصدق ; فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وإياكم والكذب ; فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا "

والأحاديث فيه كثيرة جدا (والصابرين والصابرات) : هذه سجية الأثبات ، وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وتلقي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته ، [كما في الحديث] : " اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (والمتصدقين والمتصدقات) : الصدقة : هي الإحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء ، الذين لا كسب لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة الله ، وإحسانا إلى خلقه ، وقد ثبت في الصحيحين : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " فذكر منهم : " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا

تعلم شماله ما تنفق يمينه " وفي الحديث الآخر : " والصدقة تطفى الخطيئة ، كما يطفى الماء النار "] وفي الترمذي عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " إن الصدقة تطفى غضب الرب وتدفع ميتة السوء " وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة " وفي حديث أبي ذر أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : " الإيمان بالله " قلت : يا نبي الله ، مع الإيمان عمل ؟ قال : " ترضخ مما خولك الله " ، أو " ترضخ مما رزقك الله " ؛ ولهذا لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد قال في خطبته : " يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار " وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار ، وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : ذكر لي أن الأعمال تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكموفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل البخيل والمتصدق ،

كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، أو جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى
ثديهما وتراقبهما ، فجعل المتصدق ، كلما تصدق بصدقة انبسط عنه ، حتى تغشى
أنامله ، وتعفو أثره ، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت ، وأخذت كل حلقة مكانها
قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه هكذا في جيبه فلو
رأيت يوسعها ولا يتسع وقد قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [
التغابن : 16] فجود الرجل يحبه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده كما قيل : ويظهر
عيب المرء في الناس بخله وتستره عنهم جميعا سخاؤه تغط بأثواب السخاء فإنني أرى كل
عيب والسخاء غطاؤه [والأحاديث في الحث عليها كثيرة جدا ، له موضع بذاته)
والصائمين والصائمات) : في الحديث الذي رواه ابن ماجه : " والصوم زكاة البدن " أي
: تزكيه وتطهره وتنقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً قال سعيد بن جبیر : من صام
رمضان وثلاثة أيام من كل شهر ، دخل في قوله : (والصائمين والصائمات) ولما كان
الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباء فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ،

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " - ناسب أن يذكر بعده : (والحافظين فزوجهم
والحافظات) أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح ، كما قال تعالى : (والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فأولئك هم العادون) [المؤمنون : 5 - 7] وقوله : (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
(قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا محمد بن جابر ، عن
علي بن الأقرم ، عن الأغرأي مسلم ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ،
كتبا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات " وقد رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن
ماجه ، من حديث الأعمش ، [عن علي بن الأقرم] ، عن الأغرأي مسلم ، عن أبي
سعيد وأبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثلها وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن
، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله
عنه ، أنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال :
" الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " قال : قلت : يا رسول الله ، ومن الغايزي في سبيل

الله ؟ قال : " لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان

الذاكرون الله أفضل منه " وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الرحمن بن

إبراهيم ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كان النبي صلى

الله عليه وسلم يسير في طريق مكة ، فأتى على جمدان فقال : " هذا جمدان ، سيروا فقد

سبق المفردون " قالوا : وما المفردون ؟ قال : " الذاكرون الله كثيرا " ثم قال : " اللهم

اغفر للمحلقين " قالوا : والمقصرين ؟ قال : " اللهم ، اغفر للمحلقين " قالوا : والمقصرين ؟

قال : " والمقصرين " تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد :

حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن زياد بن أبي زياد - مولى

عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة - أنه بلغه عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، أنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله

من ذكر الله " وقال معاذ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بخير

أعمالكم ، وأزكاها عند مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب

والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم " ؟ قالوا : بلى يا

رسول الله قال : " ذكر الله عز وجل "وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زيان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلا سأله فقال : أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله ؟ فقال : " أكثرهم الله ذكرا " قال : فأَي الصائمين أكثر أجرا ؟ قال : " أكثرهم الله ذكرا " ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكثرهم الله ذكرا " فقال أبو بكر لعمر ، رضي الله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أجل " وسند كبريئة الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية [الأحزاب : 41 ، 42] ، إن شاء الله تعالى قوله : (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) أي : هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو

الجنة